

جادامر وسؤال المنهج في الفكر الغربي المعاصر

Hermeneutics Hans-Georg Gadamer
And question of the method

أ. محمد أمين بن جيلالي^(١)

البريد الإلكتروني: amine.bendjilali@yahoo.fr

الملخص التنفيذي:

حينما تفاعلت التأويلية مع حقل الفيلولوجيا ومُورس النقد التاريخي على النص المقدس بدأ التعقيد لفكرة المنهج في العلوم الإنسانية، ثم بدأت المحاولة لتأسيس تأويل موضوعي لظواهر العالم، في هذا السياق احتل المنهج في الفضاء الوضعي مركز الحقيقة التي استمدت مصدر يقينها من التجربة، من هنا اعتبرت الهيرمينوطيقا بديلاً للتجريبية. لكن لم تُوفق جُلّ المقاربات الفلسفية في التوفيق بين الظواهر الطبيعية والظاهرة الإنسانية التي تحتاج إلى منهج مغاير قائم على الفهم، فبعد اتصال التأويلية بالفينومينولوجيا، رفض هانز جورج غادامير H. G. Gadamer (١٩٠٠-٢٠٠٢) موقف «دلثاي» وظلّ وفيّاً للمنحى الأنطولوجي الذي أسسه «هايدغر»، هذا الأخير الذي يرى بأن الهيرمينوطيقا تُشير إلى واقعة الفهم بما هو كذلك، على اعتبار أن الإنسان يحمل المعنى والدلالة المُوصلة إلى الحقيقة، لذلك فمن خلال مؤلفه: «الحقيقة والمنهج» ١٩٦٠ تمكن «غادامير» من أن يُنصّب نفسه ناقداً جذرياً للميل الميتودولوجي، فهو ينطلق من أن علاقة الفهم

١- أستاذ الفلسفة والعلوم السياسية - جامعة بومرداس، أكاديمي وباحث في الفلسفة السياسية المعاصرة.

بتجربتنا الكلية تتجاوز إطار المنهج بمعناه الكلي، فكان من هنا تأسيس الهيرمينوطيقا الفلسفية، علماً أنّ الحقيقة عند «غادامير» ليست مضمونة بمنهج لأنّ هناك حقائق مغايرة للعلوم الطبيعية (الفن، التاريخ واللغة) وأنّ الفهم يتأسس على الجدل والحوار.

كلمات مفتاحية: التأويل، الحقيقة، التراث، الأحكام المسبقة، اللغة، التجربة المعيشة، تاريخية الفهم.

مقدمة:

يمتدُّ المنهج في استشكاله داخل الدراسات الإنسانية إلى عصر ما قبل النهضة، فقد ارتد السؤال عن المنهج وبداية التفكير فيه وبه، إلى لحظة اصطدام اللاهوت المسيحي بالعلم، في هذه الأثناء بدى العلم بمناهجه وتطبيقاتها صامداً أمام الزعم اللاهوتي والميتافيزيقي حول نظريات العلم. موازاةً لذلك، ارتبطت التأويلية بفقه اللغة والتحليل النقدي التاريخي للنصوص المقدسة، وبدأ التعقيد لفكرة المنهج حينما سادت النظرة الميتودولوجية. في المقابل نهضت محاولة التأسيس للتأويل الموضوعي وفقاً لمعطيات المنهج التجريبي وكان هذا نتيجة للصراع بين المدرسة التجريبية والنزعة الإنسانية، في هذا السياق احتل المنهج في الفضاء الوضعي مركز الحقيقة التي استمدت مصدر يقينها من التجربة. وبالتالي هناك من اعتبر الهيرمينوطيقا كبديل للتجريبية فن: «ديلتاي» يرى بأن الهيرمينوطيقا بمثابة منهج للعلوم الإنسانية، لكن لم تُوفق جُلّ المقاربات الفلسفية في التوفيق بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الإنسانية التي تحتاج إلى منهج مغاير قائم على الفهم، حتى جاءت المقاربة الغاداميرية بمنحى جذري للهيرمينوطيقا. بناءً على الإطار النظري السابق نطرح الاستشكال التالي: ما هي أسس المسألة النقدية التي قدمها غادامير للمنهج في العلوم الإنسانية بعد

استحكام الهرمينوطيقا الفلسفية؟ الهرمينوطيقا: «استراتيجية تنفلت من المنهجية»^(١)، كيف؟

أولاً: الجهاز المفاهيمي للدراسة: في أشكلة المفهوم

يستشكل على القارئ منذ الوهلة الأولى العلاقة المفهومية بين الهرمينوطيقا والمنهج، في رحلة البحث عن إجابة لسؤال هل الهرمينوطيقا هي منهج أو العكس هل هناك منهج هرمنوطيقي؟ الذهاب نحو التفريق بين المصطلحين واكتشاف العلاقة بينهما هو في حد ذاته مغامرة إبستمولوجية، لكن مع ذلك وجب علينا على الأقل تحديد الموقع الذي يحتله كلا المفهومين ضمن فلسفة غادامير. لكل مصطلح دلالاته السياقية والايتمولوجية التي تستوقف الباحث للتدقيق فيما جاءت به من معاني، يمكن أن تفيد في تحليل السؤال الاستشكالي، والتأصيل النظرى للمفهوم. نعزم من خلال هذه الوظيفة المنهجية المتوخاة من الشبكة المفاهيمية أن نعرض لتحديد المفهوم في صورته الإشكالية، لتمكين الفهم، وتحديد اللبس.

تعد كلمة Hermeneutics (هرمينوطيقا) التعبير الإنجليزي للكلمة اليونانية الكلاسيكية Hermeneus (هرمس)، وتعنى المُفسِّر أو الشارح [...] ففي الأسطورة اليونانية^(٢)، كان هرمس رسول الآلهة، يتميز بسرعته ورشاقته، وكان عمله هو أن

١- عبد الله بريمي، «غادامير أم ريكور»، ص ١، انظر الرابط:

www.ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=504

٢- يشير سقراط في محاوره «كراتيلوس» (cratylus) إلى أن هرمس هو الإله الذي خلق اللغة والكلام، ويمكن أن يكون مؤولاً (interpréteur) أو رسولاً، كما عليه أن يكون لصاً أو كاذباً أو محتالاً، والكلمات كما يقول سقراط لها القدرة على الكشف مثلها لها القدرة على الإخفاء، ويمكن للكلام التعبير عن الأشياء جميعاً، كما يمكن أن يُحوّل الأشياء من طريق لآخر، أيضاً لأنّ بان ابن هرمس ذو نصف علوي لطيف ورباني، وآخر سفلي معازي يُعدّ أمراً ذا دلالة عند سقراط أنّ اللغة من شأنها أن تتفكك إلى شقين هامين: الأول حقيقي، والثاني زائف، حيث يقرن الأول بالرب والثاني بالشقاء الإنساني. انظر:

ينقل إلى الناس في الأرض رسائل وأسرار آلهة أوليمبوس (Olympus)^(١). إلا أن غادامير يرى أن هذا الجذر اللغوي مُلتبس في الوظيفة الدلالية فيذهب إلى الرأي التالي: «نجد في الاستعمال القديم للفظ نوعاً من الإلتباس. فقد أُعتبر هرمس (Hermes) رسول الآلهة إلى البشر، كما أن الأوصاف التي دُلَّ عليها هوميروس تُظهر غالباً أن هرمس يُبلغ حرفياً ويُنجز كاملاً ما وُكِّل بتبليغه»، لا توجد إذن دون شك أي صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل والفن التكهني^(٢). وبعد أن يتفنى هذا التقارب، يصل غادامير إلى المعنى الذي يؤكد دلالة المصطلح على التفسير: «هكذا تطور المعنى المعرفي لـ (Hermeneias) و (Hermeneus) في الهيلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو المؤول المترجم»^(٣). وعليه فمهمة هرمس هي بناء جسر التفاهم بين البشر والآلهة وجعل ما يبدو لاعقلي شيئاً ذي معنى إذن تتعلق الهيرمينوطيقا بالتفسير وحتى بالترجمة فيما يتعلق بالنصوص الدينية المقدسة^(٤). تنسج هذه الفقرات لمدلولات متعددة حول الهيرمينوطيقا أو التأويلية من قبيل التبليغ، الشرح، التفسير، والترجمة. هذه الدلالات تحيل إلى مجموعة من الأدوات المنهجية يعتمدها المؤول في التفاعل مع النص بالقراءة والتأويل.

= آمال منصور، «الهيرمينوطيقا واشكاليات تأويل الخطاب الديني»، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ص ٤. انظر الرابط:

www.lab.univ-

biskra.dz/Labreception/images/labreception/doc_pdf/critique_heurmoneyique_pdf.pdf

١- دافيد جاسبر، مقدمة في الهيرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٢١.

٢- غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم بيروت، والمركز الثقافي العربي المغرب، منشورات الاختلاف، الجزائر-بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ٦١-٦٢.

٣- مرجع نفسه، ص ٦٢

٤- دافيد جاسبر، مرجع سابق، ص ٢١

إذن، الهيرمينوطيقا هي طريقة لحلّ وفك الرموز؛ [...] هدفها الأول والأساسي تأسيس منهج أو طريقة تأويلية ذات قيمة عالمية تشمل المقدس وغير المقدس إنّها «علم ونظرية للتأويل»، أيضاً تهدف إلى إقامة الشروط والمبادئ الموضوعية الأكثر شمولية للتأويل، وهذه القواعد تخضع لمقاييس هي: التقيد بالنص، مبدأ تعدد التأويلات ومبدأ عدم التكافؤ^(١). لكن غادامير يصف الهيرمينوطيقا، بأنّها اختزلت نفسها في هيرمينوطيقا قواعدية، لم تسلم من تأثير مناهج العلوم الطبيعية^(٢). وهذا ما لم يتقبله غادامير نفسه.

إنّ المنهج بالمعنى الفينومينولوجي له قصدية هي الفهم، والوصول إلى الغاية المقصودة، والوعى بالطريق المفضي برصانة إلى الهدف المحدد، وهو الحقيقة. لذلك نجد تحديد للمصطلح بنفس المنطق في الأدبيات المنهجية للبحث العلمي.

يُعرّف المنهج بـ: «الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تُهيمن على سير العقول وتُحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»^(٣). هذا التعريف يثير فينا الحسد الادراكي والحس النقدي، من الوهولة الأولى، نلاحظ أنّ المنهج بهذا المعنى يقبل حقيقة واحدة، في حين أنّ الحقيقة في التصور الاستيمولوجي ما بعد الحدائثي (العلم نسبي) هي حقائق، انفتاح على العالم. فالحقيقة ذاتية وموضوعية في الآن نفسه.

١ - مليكة دحامنية، «فصول في القراءة والتأويل من خلال نماذج غربية معاصرة»، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر ٢، ٢٠١٠-٢٠١١، ص ٤٨.

٢ - شادي كسحو، «حدود المنهج: مدخل إلى هيرمينوطيقا غادامير»، ص ٢، انظر الرابط:

www.alawan.org

٣ - محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقترابات، والأدوات، الجزائر، دار هومة، ٢٠٠٢، ص ١٢.

لكن، هناك افتراض مُسبق بموضوعية المنهج [...] وهذا ما يبدو أنه مُضلل هنا، فكلمة «Methodos» تعنى، بالمعنى القديم، مجمل النشاط في حقل معين من القضايا والمشكلات. وبهذا المعنى فإنّ المنهج ليس وسيلة لإضفاء الطابع الموضوعى والمهيمن لشيء ما إنّما هو هنا يتعلق بتوقعاتنا من جهة ارتباطها بالأشياء التي نعالجها. وهذا المعنى للمنهج، بوصفه عملاً يتلائم مع شيء آخر، يفترض سلفاً أنّنا نجد أنفسنا في خضم اللعبة، وأنّه ليس بوسعنا أن نشغل موقعاً محايداً حتى لو بذلنا كل ما بوسعنا من أجل الموضوعية، ووضعنا تحيزاتنا جانباً^(١). إذا كان المنهج يعكس صرامة خطواته وثوقية نتائجه، فهذا ناتج عن التركيز على العقلانية المثالية التي اعتبرت أنّ العلم مطلق. وبالتالي استخدام المنهج ضمن النسق العقلاني المثالي يؤدي إلى نتائج مضمونة ودقيقة. نهض غادامير ضدّ هذا التصور برؤية جذرية للمنهج تتشله من جدال المطلق والنسبي، وهو ما يطبع عمله الفكري الموسوم بالحقيقة والمنهج.

هانز جورج غادامير «ميلاد جذري»؛ فيلسوف ألماني ولد في ماريبورغ في ١١ فبراير ١٩٠٠، أي سنة بعد وفاة ديكارت في ١١ فبراير ١٦٥٠ فلا يمكن أن ننكر تأثير المنهج الديكارتى على تأويلية غادامير في بعدها الإستيمولوجى، لكن المنحى الأنطولوجى والفنى والفلسفى فى تأويلية غادامير يستقل عن صرامة المنهج بإدراجه للتصورات المسبقة (Prejudges)^(٢) والتي كانت محلّ شكوكٍ وتحفظاتٍ فى

١- هانز جورج غادامير، بداية الفلسفة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٨.

٢- كان ديكارت، كما يرى غادامير في كتابه العمدة الحقيقة والمنهج، الأول من بين المحدثين الذي أحاط مفهوم «الحكم المسبق» بسمعة سيئة في العالم الحديث. وبالمقابل اتخذ غادامير مهمة إعادة الأحكام المسبقة التاريخية والتراثية إلى موقعها الحيوي كاشتراطات لإمكانية أي فهم يمكن أن تتوفر عليه. انظر: هانز جورج غادامير، التلمذة الفلسفية: سيرة ذاتية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، بنغازي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٣، ص١٥.

المنهج الديكارتي الذي أسس فكرة العالم في العصور الحديثة على فكرة البدهاة واليقين. الشك الديكارتي يستسلم في نهاية المطاف إلى وضاحة المنهج وبدهاة الفكرة الأمر الذي دفع غادامير إلى تجنيد الشك النيتشاوي الراديكالي، نيتشه الذي توفي سنة ١٩٠٠ وهى سنة ميلاد غادامير^(١). إن التلازم والتزامن بين التاريخين (الوفاة والميلاد) هو رمزية على التواصل على المستوى الفكرى بين غادامير ونيتشه، كما هو الاتصال بين المدارس والتيارات الفلسفية.

فبعد اتصال التأويلية بالفيينومينولوجيا، رفض غادامير موقف «دلثاي» وظلّ وفياً للمنحى الأنطولوجى الذى أسسه «هايدغر» (Martin Heidegger)، فيلسوف ألماني (١٨٨٩-١٩٧٦) هذا الأخير الذى يرى بأنّ الهيرمينوطيقا تشير إلى واقعة الفهم بما هو كذلك، على اعتبار أنّ الانسان يحمل المعنى والدلالة الموصلة إلى الحقيقة، لذلك فمن خلال مؤلفه: «الحقيقة والمنهج» عام ١٩٦٠ تمكن «غادامير» من أن يُنصّب نفسه ناقداً جذرياً للميل الميتودولوجى، فهو ينطلق من أنّ علاقة الفهم بتجربتنا الكلية تتجاوز إطار المنهج بمعناه الكلى. من هنا كان تأسيس الهيرمينوطيقا الفلسفية، علماً أنّ الحقيقة عند «غادامير» ليست مضمونة بمنهج لأنّ هناك حقائق مغايرة للعلوم الطبيعية (الفن، التاريخ واللغة) وأنّ الفهم يتأسس على الجدل والحوار. وعليه فغادامير فيلسوف هرمينوطيقى «تأويلى» بإمتياز، ولذا فإنّه لا يمكن فهم مُنجزه الفكرى هذا دون فهم سياق الفلسفة التأويلية «الهرمينوطيقية»^(٢). أساساً غادامير كان وسمه لكتابه بالعنوان السابق هو في حد ذاته وسم إشكالى، يخلق قلق فلسفى في الذات المتأملّة، فهو كتاب مستديم أو مستدام في النمو من حيث الترجمة أو القراءة الفلسفية.

- ١- غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، مرجع سابق، ص-ص ١٠-١١.
- ٢- عبد الله المطيري، «قراءة في كتاب الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية هانز جورج غادامير»، ص ١، انظر الرابط:

يقول «جول فاينشايمر» و«دونالد مارشال» مترجماً كتاب «الحقيقة والمنهج» للإنجليزية: «واحد من أهم كتابين أو ثلاثة في هذا القرن عن الفلسفة والدراسات الإنسانية»^(١). يرمى هذا الكتاب إلى تفكيك العلاقة بين الحقيقة والمنهج، باعتباره ارتباط كان قائماً في العلوم الطبيعية غير أنّ المسألة تختلف في العلوم الإنسانية فيرى غادامير أنّ طريق الحقيقة ليس هو المنهج بالضرورة. على هذا الأساس يرفض المنهج في دراسة النص أو الوصول إلى الحقيقة. فالمنهج لدى غادامير هو «شيء ينبع من الذات ليُوصل إلى نتيجة، هذه النتيجة لا تعنى الحقيقة أبداً كما هو الحال في العلوم الطبيعية. أراد غادامير إذن القضاء على دوغمائية ارتباط الحقيقة بالمنهج. على هذا التحديد السياقي نفهم من العنوان أنّ الواو هي واو الفصل التحطيمية وليس الوصل العطفية بين الحقيقة والمنهج»^(٢). يجب على المنهج أن يفتح على الحقيقة بمفعولاتها (أحداثها الجمالية الفنية والتاريخية واللغوية) هذا الذي يبغيه غادامير في مشروعه الفلسفي، ولا يتم ذلك إلاّ بنقل مساحة التفاعل بين المنهج والحقيقة من الفضاء الاستيمولوجي إلى الأرضية الأنطولوجية، من هنا تبدأ رحلة الحدوث مع غادامير في البحث عن الأبعاد المتكررة للحقيقة (الحقيقة لوحه فسيفسائية) بامتطاء سفينة الفهم والتأويل.

ثانياً: **الهيرمينوطيقا وفلسفة الحدوث في فكر غادامير:**

لعلّ المنعطف التاريخي والمعرفي الهام الذي سجّله غادامير في تاريخ فن التأويل هو إصداره سنة ١٩٦٠ لكتابه الشهير: «الحقيقة والمنهج: الخطوط الكبرى لفن التأويل الفلسفي»؛ يتناول فيه تفاعل المستويات الكبرى للتجربة التأويلية والمتمثلة

١- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم

وعلي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١٩.

٢- المرجع نفسه، ص ١٥.

في اللغة وعلاقتها بفاعلية الحوار ضمن نسيج لغوى حى، والتاريخ كبعد أساسى من أبعاد «الوعى التاريخى»، والجمال ك لحظة تأويلية وتجربة أنطولوجية تتجلى فيها فاعلية «الفهم» وفهم «القصد المباشر» للمؤلف في علاقة حوارية خلاقة^(١). إن غدامير وعلى غرار هايدغر يرفض تلك النظرة التى ترى في الهيرمينوطيقا مجرد منهج للعلوم الإنسانية والتاريخية. فالهيرمينوطيقا في نظره تتمركز حول عملية الفهم الإنسانية، والفهم ليس فعلاً نحققه منهجياً وموضوعياً، وإنما هو حدث. إننا نعلم تبعاً لجان غراندان Jean Grandan (متخصص في مجال الهيرمينوطيقا والأنطولوجيا) أنّ العنوان الأول لمؤلف «الحقيقة والمنهج» كان من المفترض أن تكون «الفهم والحدث Compréhension et événement» فالمسألة لا تتعلق بما يجب أن نفعله، وإنما المهم الذى يحدث فيما وراء إرادتنا وفعلنا: «فلا تتعلق كما يقول غدامير عندما نفهم ونسكن العالم»^(٢). إذن، بهذا الفهم، فإن لحظة الفهم تستقر عند غدامير في نقطة الحدث، الحدث بما هو «ما وراء»، فالفهم هو حدث يبحث عن قصدية الفعل، وبمصطلح آخر فينومينولوجيا الفعل، التى تهدف إلى تأويله باعتباره نص أو واقع. لم ينطلق غدامير من فراغ، بل كانت له ركيزة توجيهية هى التراث التأويلي.

١- هانز جورج غدامير، «مدخل الى أسس فن التأويل: التفكيك وفن التأويل»، ص ١. ترجمة محمد شوقي الزين، انظر الرابط:

www.aljabriabed.net/n16_08azin_gadami.htm

٢- هشام معافة، «هيرمينوطيقا الفن عند غدامير»، مذكرة ماجستير، فرع الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، السنة الجامعية: ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص ١٣.

رابعاً: المنحى الهرمينوطيقى عند شلايرماخر وديلتاي وهيدجر: فى اعتبار المنهج

أتبع غادامير التقليد التأويلى لدى شلايرماخر، ديلتاي ولكن بصفة خاصة هايدغر^(١). فاتجاه غادامير لتطوير التأويل الفلسفى (بالتركيز على أسئلة الفهم والبحث عن المعنى والحقيقة)، يدين أكثر لأراء هايدغر^(٢). فى هذا التقليد نحن بصدد الحديث عن ثلاثة مستويات: المستوى المنهجى، المستوى المعرفى والمستوى الأنطولوجى، وهى مستويات تعبر عن العلم فى تشكيله، والنظرية فى بنائها. من هنا وبنظرة متفحصة، نجد أنّ غادامير هو مؤسس علم ونظرية التأويل فى الفلسفة الغربية المعاصرة، لكن المفارقة أنه يعتبر التأويل فنّ للفهم وفهم الفهم.

الموقف المنهجى لدى شلايرماخر:

سادت نظرية تقسيم الأحكام المسبقة خلال عصر التنوير (أحكام ناشئة عن السلطة، وأخرى عن التسرع)، وهو تقسيم يستند إلى الافتراض الأنوارى الذى مفاده ضرورة استخدام العقل استخداماً منهجياً مضبوطاً يُزيح عن الخطأ. وكانت هذه فكرة المنهج لدى ديكارت. يقوم هذا التقسيم على تناقض متبادل بين السلطة والعقل. ويأتى شلايرماخر للتمييز بين التحيز (تحديد فردى للفهم) والتسرع كأسباب لسوء الفهم. إنّ تغيير فريدريش دانييل شلايرماخر Frederic Schleiermacher (فيلسوف ولاهوتى ألماني، ١٧٦٨-١٨٣٤) للتقسيم التقليدى للأحكام المسبقة يؤثّق انتصار عصر التنوير ونتائجه. هاته النتائج الجذرية يمكن أن

1 - Hans-Georg Gadamer, trad. fr. par P. Fruchon, J. Grondin, G. Merlio, *Vérité et méthode : les grandes lignes d'une herméneutique philosophique*, Paris, Seuil, 1996 See: [www.orbi.ulg.ac.be/bitstream/2268/177088/1/Vérité et méthode.Gadamer.Présentation.pdf](http://www.orbi.ulg.ac.be/bitstream/2268/177088/1/Vérité%20et%20méthode.Gadamer.Présentation.pdf); P. 2

2 - Amar Djaballah, «L'herméneutique selon Hans-Georg Gadamer», *théologie évangélique* vol. 5, n° 1, 2006 p P32.

نجدها في إيمان شلايرماخر بالمنهج^(١). يستمد شلايرماخر إيمانه العميق بفكرة المنهج من نزعته اللاهوتية الموغلة في صرامة قواعد فهم الكتاب المقدس وتأويله وتأويلاً فيلولوجياً (الفهم وفقاً لقواعد اللغة) بالرغم من أن شلايرماخر تراجع عن تطبيقاته للفيلولوجيا في مرحلة ما من مسيرته الفكرية.

إن الهيرمينوطيقا لم تعرف تحولاً مماثلاً إلا مع مجيء شلايرماخر، الذي يمكن وصف ما أحدثه بالانقلاب الكوبرنيكي. لقد قدّم شلايرماخر السؤال المهم: بما الفهم؟ على سؤال معنى هذا النص أو ذاك من النصوص المقدسة أو الدنيوية. وإليه يرجع الفضل في تحرير التأويل كمبحث عام وعالمي، من كل عناصره العقائدية والنظر إليه بوصفه مبحثاً خاصاً يُعنى باللاهوت وتفسير النصوص الدينية. وما تصوره للهيرمينوطيقا على أنها فن الفهم ما هو إلا نقدٌ جذري للاتجاه الفيلولوجي. إن الهيرمينوطيقا لم تعد مجرد مجموعة من القواعد، بل أصبحت علماً يصف الشروط اللازمة للفهم^(٢). هذا الاتجاه الذي أبان عنه شلايرماخر يعود بالأساس إلى تأثره بالنزعة السيكلوجية التي تعتنى بظروف المؤلف والتركيز على ما هو ذاتي وفردى لتشديد الفكر من خلال تأويل النص.

وبالتالي ينحصر الموقف المنهجي عند شلايرماخر في أنّ تفكير الإنسان بل وجوده كلّه تحدده اللغة، وأنّ فهم الإنسان لنفسه وللعالم تقدّمه اللغة، رغم أنّه فيما بعد تخلّى عن هذا الموقف وتبنّى النزعة السيكلوجية بإعادة بناء العملية الفكرية للمؤلف. وقد اقتنى دلتاي أثر شلايرماخر حين افترض أنّ مهمة الهيرمينوطيقا هي اكتشاف قوانين الفهم ومبادئه^(٣).

١- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، مرجع سابق، ص ٣٨٣-٣٨٥.

٢- هشام معافة، مرجع سابق، ص-ص ١١-١٢.

٣- عادل مصطفى، فهم الفهم: مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص-ص ١١٠-١١١.

قام شلايرماخر بإخراج الهيرمينوطيقا إلى مختلف العلوم حيث أسس مجموعة من القواعد والمعايير التي تحكم عملية الفهم والتحليل^(١). لكن إذا كان الفهم يتعلق بالتنشئة الفردية الثقافية^(٢)، فهل نحن بحاجة إلى منهج للفهم؟ يجب شلايرماخر بالنفي وعلل ذلك بأن منهجاً مثل هذا لم يرى النور إلى حد الآن، بل تم الاكتفاء بقواعد تهم مجالات خاصة (كالنصوص المقدسة)^(٣).

فيلهيم ديلتاي: المنهج كمشكلة إبستمولوجية

لقد استندت تأويلية شلايرماخر إلى تجريد منهجي مصطنع حاول أن يؤسس وسيلة كلية للعقل، ولكنه حاول استخدام هذه الوسيلة للتعبير عن قوة الإيثار المسيحي المتقدمة؛ بيد أن التأويلية لدى ديلتاي [W.Dilthey 1833-1911]، فيلسوف ألماني معاصر يمثل ما يسمى بتيار الحياة، في كتابه الهام «مدخل إلى دراسة العلوم الإنسانية» يبحث عن «الاستقلالية المنهجية» لعلوم الإنسان أو «علوم الروح»؛ بتعبيره الألماني [Geisteswissenschaften] في تأسيسه للعلوم الإنسانية هي أكثر من وسيلة. إنها الوسيط الكلي للوعي التاريخي، حيث لا يعود هناك وجود لأية معرفة

١ - مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، «الهرمينوطيقا وحدود الفهم»، ص ٣،

انظر الرابط: www.certhso.com/detail-science-humaines.aspx?idZ-8&id-1

٢ - عُرف شلايرماخر بنظرية الفعل الالهامي التي كانت المحطة الحاسمة في تطور نظرية الدائرة التأويلية the hermeneutic circle والتي انتهت الطروحات حولها بانها ليست شكلية، ولا ذاتية، ولا موضوعية، إنها هي تصف تفاعل حركة التراث وحركة المؤول. وهو ما ذهب اليه هايدغر حينما اعتبر أن توقع المعنى الذي يحكم فهمنا لنص ما ليس فعلاً ذاتياً، إنها هو فعل ينبثق مما يربطنا بالتراث. الذي نتجته بقدر ما نفهم ونشارك في تطوره، وعن ثم نحدده نحن، فهو ليس مجرد شرط مسبق ثابت، وعليه فان دائرة الفهم ليست دائرة «منهجية»، وانما هي تصف عنصراً في بنية الفهم الانطولوجية. انظر: هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، مرجع سابق، ص ٤٠٢.

٣ - نبهة قارة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ٤٥.

للحقيقة سوى فهمٍ للتعبير، ومن خلال ذلك، فهمٌ للحياة. فكل شيء في التاريخ يمكن فهمه؛ لأن كل شيء نص^(١). يبدو أن ديلتاي استلهم رؤيته للعالم والحياة من تناقض وتعارض الاتجاهات (المثالية الألمانية/ التجريبية الانجليزية) هو يؤمن إيماناً مطلقاً من أن الفلسفة مصدرها تأمل خبرات الحياة، في الوقت الذي يعتقد أن الحياة هي بحث عن المعنى، وأن العلاقة بين الانسان والطبيعة هي علاقة جدلية.

اتخذ ديلتاي من هيرمنيوطيقا شلايرماخر العامة قاعدة انطلق منها لبلورة معالم هيرمنيوطيقاه، حيث تمكن من أن يرسم لنفسه نهجاً متميزاً ضمن الخارطة الإبداعية الألمانية، منطلقاً في إرساء قواعدها من نقده للمنظرة التي ترى في طرق التفكير الخاصة بالعلوم الطبيعية النموذج الأمثل، الذي ينبغي أن تُبنى على أساسه العلوم الإنسانية. وهي علوم لا يمكن تفسيرها في رأيه بمناهج العلوم الطبيعية، إذ تتناول ظواهر من إبداع البشر، ولهذا استخدم الفهم كمنهج يتناول الخبرة الحية، عكس العلوم الطبيعية التي تأخذ الأسباب الموضوعية. إذن فقد كانت مشكلة دلتاي هي إعطاء العلوم الإنسانية صلاحية ماثلة لتلك الخاصة بالعلوم الطبيعية في عصر الفلسفة الوضعية^(٢). لقد تولدت تقابلات على المستوى الاليتيمولوجي في مسألة المنهج لدى ديلتاي في مقارنته بين علوم الطبيعة وعلوم الإنسان، فمثلاً؛ المنهج والفهم، التجربة والخبرة المعيشة، التجريب والتعبير، إلخ. كلهما تعارضات تكشف عن الغموض الذي حجب فهم نظرية المعرفة القائمة على أساس التصنيف الالبيستيمي عند دلتاي.

كان مشروع دلتاي هو صياغة منهج ملائم للعلوم الإنسانية الروحية وكان على وعى واضح بعجز منهج العلوم الطبيعية عن مهمة الإمساك بكل الظاهرة الإنسانية. ومن هنا نظر إلى هذه المهمة على أنها مشكلة ابستيمولوجية من جهة، وعلى أنها تتطلب

١- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، مرجع سابق، ص ٣٣٨.

٢- هشام معافة، مرجع سابق، ص ١٢.

تعميق تصورنا للوعى التاريخي من جهة ثانية، وأتّما تعكس حاجة إلى فهم التعبيرات التي تنبع من الحياة ذاتها من جهة ثالثة، وهى ثلاث عوامل ينبغى فهمها لإزالة اللبس الحاصل على مستوى التفريق بين منهج العلوم الإنسانية ومنهج العلوم الطبيعية^(١). إن مفهوم الحقيقة لا يمكن أن يفهم إلا انطلاقاً من فكرة المنهج. يرفض غادامير هذا النوع من الحقيقة لهذا السبب، فهو يختلف مع ديلتاى فيما يتعلّق بتصور هذا الأخير الميتودولوجى والمنهجى للنهريمنوطيقاً^(٢).

خامساً: غادامير واتخط الفينومينولوجى فى شرح الهرمينوطيقا من أسس المنهج:

يعتقد «إيميليو بيتى» Emilio Betti (أحد فلاسفة التأويل فى إيطاليا) بأن غادامير أراد أن يقترح علينا منهجية معينة لبلوغ الحقيقة، وأنّ الهم المركزى لغادامير هو تقويض الزعم الدلتائى من أنّ العلوم الإنسانية تمتلك الحقيقة^(٣).

لكن مع هايدغر يشهد المنهج الهرمينوطيقى قفزة جديدة، إذ سيرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة، وخاصة الفينومينولوجيا، فقد أقام هايدغر الهرمينوطيقا على أساس فلسفى، والفلسفة على أساس هرمنوطيقى، وكلاهما صحيح، كما يرى «نصر حامد أبو زيد»، طالما أنّ الفلسفة هى فهم الوجود، والفهم هو أساسى. إنّ الهرمينوطيقا بهذا المعنى لا تُعنى بتأويل النصوص، ولاهى فلسفة عن جوهر الوجود، ولا حتى منهجاً للعلوم الإنسانية، وإنّما تعبير عن كشف فينومينولوجى للوجود الإنسانى ذاته. فالفهم والتأويل هما أسلوبان لوجود الإنسان. وهكذا، فقد

١ - عادل مصطفى، مرجع سابق، ص ١١٨.

٢ - عبد الله بريمي، مرجع سابق، ص ٢.

٣ - جان غراندان، النعرج الهرمينوطيقى للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم عمر مهيب، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧، ص ١٢٥.

عمق هايدغر من مفهوم الهيرمينوطيقا، وبضربة واحدة أصبحت ذات صلة وثيقة بأنطولوجيا الفهم^(١). فقد كان همُّ غادامير هو السعى إلى تطوير هيرمينوطيقا فلسفية للعلوم الإنسانية؛ أي إنتاج تأمل فكري يعيد الاعتبار لمفهوم الحقيقة. بمعنى آخر انتشال الحقيقة من حوضها المحلي إلى اطارها العالمي الذي يستمد جوهره من التجربة الإنسانية.

فالهيرمينوطيقا ليست «منهجاً للحصول على الحقيقة»، إتها، في نظر غادامير، ليست منهجية للعلوم الإنسانية ولكنها محاولة من أجل فهم ما في الحقيقة [...] وما يربطها بكلية تجربتنا في العالم». فهي تقوم على استراتيجية تنفلت من المنهجية، إذ تقوم باستدراج الوجود إلى اللغة لتستطيع الإمساك بالكائن وفكره من خلال إشاراته، وعلاماته وإحالاته داخل عالم اللغة أي عالم النص^(٢). لقد استلهم غادامير المرجعية الهايدغرية المتمثلة في المنعطف الانطو- فينومينولوجي وذلك ليقرب مسار المعنى - فهم، إلى فهم - المعنى نحو معنى المعنى أو فهم الفهم. وهذا مرده كينونة الإنسان بما هو وجود - في - العالم.

مارتن هايدغر والعظمة المنعطف كتأسيس أنطولوجي للفهم:

أين يمكننا موقعة هيرمينوطيقا غادامير؟، نستطيع فهم هذه الهيرمينوطيقا انطلاقاً من هايدجر، فعلى خلاف ما ذكر في الكينونة والزمان فإن غادامير لا يقدم لنا تحليلاً معيّنًا للوجود، [...] وغاية ما يُقدّمه لنا هو فينومينولوجيا تنهمم بحادثة الفهم، والتي تنطلق من بعض المنجزات الهيرمينوطيقية لهايدجر، لتُعاود تملّكها بطريقتها الخاصة المتميزة^(٣). يتمثل التحدي الرئيسي من هذا العمل الكبير لغادامير،

١ - هشام معافة، مرجع سابق، ص ١٢.

٢ - عبد الله بريمي، مرجع سابق.

٣ - جان غرانديان، مرجع سابق، ص ١٢٦.

«الحقيقة والمنهج»، في إبراز أن التأويل ليس فقط وسيلة لفهم العلوم الإنسانية ولكن تجربة الفهم أيضاً التي تُبنى على أساس الحدث الوجودي الأساسي لإظهار شكل حقيقي من الحقيقة. إلا أن هذا الفهم، ينتمي دائماً لإرث هايدغر، هذا الأخير هو في المقام الأول فهم وجودي. لا يقتصر على فهم شخصي بل فهم الذات من «التجربة المعيشة [Ertebuis]»، فمثلاً، فهم العمل الفني هو فهم الفنان ككائن»^(١).

ليس من المستبعد أن يكون غادامير أقام نسقه الهيرمنيوطيقي على أساس فلسفة هايدغر الوجودية، وبخاصة فيما يتعلق بحقيقة الفهم الوجودي، ويمكننا أن نستشف ذلك من قوله: «وعليه وجدت، من جانبي، المنطلق الأول في نقد المثالية (Idealismus) والمنهجية (Methodologismus) اللتين ميّزتا عهد نظرية المعرفة - إمتداد مفهوم الفهم إلى الوجودي عند هايدغر بمعنى التصميم الحاسم للذاتين - الوجود في العالم (Dasein) -، يعبر عندي عن مرحلة حاسمة، فإنه تحت تحريضه، حملني هذا المفهوم على مجاوزة مناقشة المشكلات المرتبطة بنقد المنهج لتوسيع مسألة التأويل فيما وراء حقل العلم وإدراج تجربتي الجمال والتاريخ»^(٢).

رفض غادامير التعريف القائل بأن المنهج هو قواعد وأدوات استراتيجية تفرضها الذات على الموضوع، فستبدأ عملية الفهم مع غادامير مُستنداً إلى آراء هايدغر في علاقة الذات بالموضوع. إن تطبيق القواعد المنهجية على الموضوع يجعل الذات تفهم الموضوع وفقاً لتصوراتها المنهجية وليس وفقاً للحقيقة المبنية على التحام الذات بالموضوع في خبرة حميمة كما يقول غادامير. لقد استند غادامير إلى الآراء التي حاولت ربط العلاقة بين علوم الفكر وعلوم الطبيعة خاصة آراء الفيزيائي هارمان فون هيلمهولتز (١٨٢١-١٨٩٤).

1 - Hans-Georg - Gadamer, op.cit, .

٢- هانز جورج غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، مرجع سابق، ص ١٧٥.

إلا أنّ التأويل عند غادامير يكون فيه المقياس هو «الشيء نفسه» (La chose meme) وليس الإقرار بحقيقة «الشيء في نفسه» (La chose en soi)، يقول غادامير: «ينبغي لفن التأويل أن ينطلق من مسألة أنّ الفهم هو الوجود في علاقة مع الشيء نفسه». وعلى هذا الأساس يميّز غادامير بين نوعين من الفهم: الفهم الجوهرى وهو فهم محتوى الحقيقة، الفهم القصدى وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف^(١).

الفهم التأويلى بما هو تجربة إنسانية لدى غادامير:

إنّ المحك في التجربة التأويلية هو بالضبط فهم أساسى للذات الإنسانية في العالم. التجربة التأويلية ليست نموذج للمعرفة؛ بل هى بالأحرى، «الأصل من كينونة الإنسان في العالم» حسب أسلوب هايدغر^(٢). إنّ الفهم التأويلى فى علاقته بالخبرة الإنسانية عند غادامير يبنى على ثلاثة سياقات مجالية:

أ- المجال اللغوى ويتعلق بالعلاقات والمعانى والدلالات، فلفهم قصيدة ما على سبيل المثال: يمكننا تأمل هذه القصيدة بدقة، ومقارنتها بغيرها من القصائد، ويمكننا معرفة بحرّها الشعري ومعرفة المدرسة الشعرية التى تنتمى إليها، ويمكننا من جهة أخرى البحث عن كل الصور والاستعارات التى تحتويها، ومناقشة كل التفاصيل المتعلقة بهذه القصيدة. قد نكون بتبوين إذا بحثنا عن جملة العناصر المشكّلة لبنية هذه القصيدة، وقد نكون سيميائيين إذا بحثنا عن إشاراتها ورموزها. كل هذا الاشتغال على القصيدة قد يكون محتماً ومفيداً، غير أنّ شيئاً واحداً لا نحققه بذلك «الفهم»، فإذا أردنا الوصول إلى الفهم الحقيقى لهذه القصيدة، يجب علينا أن نتأهى معها

١ - مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ٦.

2- Klapwijk Jacob, «The Universal in Hans-Georg Gadamer's Hermeneutic Philosophy»,

Philosophia Reformata 50, 1985, P.o.

وأن ننصهر في آفاقها، لكي نلج إلى عمقها الأنطولوجي. قد تُثبت كل المعلومات والإجراءات السابقة أنها صحيحة، ولكن لا يمكن لكل هذه النظريات والمناهج أن تُعوّض عن الدخول، إلى عالم القصيدة نفسه، الذي يبقى عصياً عن أي منهج أو تكنيك. يُفترض بهذه الملاحظة أن تُلفت الانتباه - ولو نسبياً - إلى الفارق بين الفهم الاستمولوجي القائم على التقنيات والآليات، وبين الفهم الأنطولوجي القائم على المشاركة والحوار^(١).

وبالقدر الذي يُصّر فيه غادامير على الحوار إلا أن الدياليكتيك الذي يرمى إليه «ليس جدل الأضداد، إنه جدل بين أفق المفسر وأفق الثقافة المتحدّرة التي تواجهنا»، وبعبارة أخرى، فقد عثر غادامير على لحظة من السلب والتساؤل للتأويل تصبح فيه اللغة أبعد من مجرد عبارات وقوالب لفظية وعدّها محرّكاً جوهرياً لما يمكن أن نعتبره عالمية التأويل من منطلق أنّ علاقة الإنسان بالعالم هي أساساً عبارة عن لغة، أي فهم، بهذا المعنى يُصبح التأويل عبارة عن البعد العالمي للفلسفة وليس فقط القاعدة المنهجية لما يمكن أن نسميه بالعلوم الإنسانية^(٢). تشكل اللغة إذن أداة للفهم باعتبارها «مسكن الكينونة»، فمنها وإليها تعود وتنبجس عملية الفهم للعالم في شكل تصورات ورؤى تأويلية.

ب- المجال الجمالي فيتعلق بالأعمال الفنية، فعند تطرّقنا لمسألة الفن نجد أنفسنا أمام المفارقة التالية: من جهة أوضح غادامير بشكل لا لبس فيه أنّ ما يسميه «المفاضلة الجمالية» أو «المنتوج الجمالي» ما هو إلا تجريد غير قادر على محور انتهاء العمل الفني لعالمه وتلاخه معه، ومن جهة ثانية نجد أنّ

١- شادي كسحو، مرجع سابق، ص ٣.

٢- خيرة حمر العين، «الشعرية وانفتاح التصوّن: تعددية الدلالة ولاهائية التأويل»، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد السادس، جانفي ٢٠١٠، ص ١٣.

دور الفن وأهميته ليسا موضع تشكيك أو تساؤل، ذلك أنّ الفن قادر على قهر المسافات الزمنية ومجاورتها بفضل استخدامه للدلالات وتوظيفه للصور الإبداعية التي تخرق محدودية المكان ولا نهائية الزمان، بهذا المعنى المزدوج للدلالة يصبح الفن وسيلة أساسية للفهم ومن ثم أيضاً يصبح مجالاً لإنتاج الحقيقة^(١). يطرح جادامير سؤال مهم: ماذا نستفيد من العلاقة بين الحقيقة والفنون واللعبة؟ في الجزء الأول من «الإفراج عن مسألة الحقيقة: تجربة الفن، *Dégagement de la question de la vérité : l'expérience de l'art*» الذي احتوى تحليل نقدي واسع لعلم الجمال عند كانط، فالتجربة الفنية هي تجربة خارجة عن الذات، هي تجربة للكائن، لا انغلاق الذات على نفسها، تجربة الحقيقة، علينا أن نتعامل معها على أنّها هيمنة على كائن موضوع تدعى أنها مستقلة عنه. قام جادامير باستعارة اللعبة (*la métaphore du jeu*)، اللاعبون ليسوا أحراراً، اللعب على محمل الجد، واللعب اعتراف بالنظام، ما هي الآثار المترتبة على الفهم والحقيقة؟^(٢) إنّ اللعب بالمعنى الجاداميري هو فن يعبر عن جمالية الحقيقة كاستراتيجية في تحقيق التأويل كفن وليس علم، كفلسفة وليس منهجية.

ج-١ هيرمينوطيقا الفهم هي نقد للمعرفة التاريخية: إنّ تأويل الظواهر انطلاقاً من ذاتها يعني فهمها من خلال سياقها التاريخي، وهنا تأخذ الهرمينوطيقا علاقة ضمنية مع الوضعية؛ لأنّ مجمل التاريخ يُشكّل نصّاً قابلاً لأن تُفكّ شفرته. فإذا كانت المدرسة التاريخية قد ألغت كل شكلٍ للمثالية،

١- عمر مهيبيل، «هانز جورج جادامير خطاب التأويل، خطاب الحقيقة»، ص ٢، انظر الرابط:

فلأن الظواهر التاريخية تُصبح صامتة إذا لم نُلحِقها بسياق أكثر اتساعاً يرتبط بعصر ما، وأخيراً بالتاريخ الكلي. فلا وجود إلا لحوادث تاريخية ستُصبح متكلمة من ذاتها، فما هو خاص لا يأخذ أى دلالة إلا تبعاً لتغيرات السياق الأكثر عمومية^(١). ما سرّ حضور التاريخ والتراث في تأويلية غادامير؟، في الذى كان يعتقد يورغن هابرماس Jürgen Habermas (ولد عام ١٩٢٩، فيلسوف وعالم اجتماع ألماني) أن التاريخ والتراث تعبير عن نزعة محافظة، تمسك غادامير بتاريخية الفهم وانغماره في التقليد والتراث، ويعود ذلك لكونه افتقد لحرية العقل بالمفهوم الأنوارى، وأيضاً اختلافه عن هابرماس في طريقة تمثُل الحوار المثالي^(٢). يعد التاريخ والتراث عند غادامير بمثابة الوعى الذى يخترن الثقافة ويخترن التأويل، في توليفة عجيبة تطرح ثقافة جديدة للتأويل هى تاريخية الفهم بما هى فلسفة في الأصل.

سادساً: أبعاد وآفاق الهيرمينوطيقا الغاداميرية: بين الفلسفة المعاصرة والعلوم الإنسانية

إن مشكلة الفلسفة المعاصرة يمكن أن تتحد معالمها بمشكلة العلوم الإنسانية. فإذا كانت الفلسفة لها نظرة شاملة للإنسان والعالم، فلا بد أن تعتمد، أو تنتقد ما تُتيح لها العلوم الإنسانية من معرفة تتعلق بوضع الإنسان - في - المجتمع - إزاء - العالم وهو موضوع العلوم الإنسانية. أو عليها أن تضع بديلاً أو منافساً، [...] ولأنّ هناك اليوم «علوم» إنسانية تتفاوت في درجة إحكامها وضبطها، فلا بد أن تكون علاقة مباشرة بينها وبين الفلسفة المعاصرة، سواءً كان اتجاهها المعارضة، الموافقة أو الاحتواء. فالواقع أنّ

١ - هشام معافة، مرجع سابق، ص ٣٠.

٢ - المرجع نفسه، ص ١٥٦.

موقف الفلسفة المعاصرة من العلوم الإنسانية - في حالتها الراهنة - مماثل لموقف ما كان يسمى فلسفة الطبيعة من العلوم الطبيعية. فيجب النظر فيما ينبغي أن تكون عليه الحدود بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، وتعيين مناطق النفوذ بينها، بحيث يُصان لكلّ منهما موضوعه، منهجه وغايته^(١). ولا نجد في سبيل إنجاز هذه المهمة إلاّ اهيرمينوطيقا كحلقة تواصل بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، فما هي أبعاد وآفاق هذا التواصل المنجز تحت مظلة هيرمينوطيقية؟

البؤرة الوحيدة لهذا التواصل هي مشكلة الموضوعية في العلوم الإنسانية، حُرّكت المشكلة من وضعها القديم في طريق الحل، فكانت هناك عدة قراءات لمسألة الموضوعية تراوحت بين اعتبارها: واقعة أو ماهية أو بنية^(٢). ينزع أنصار «الماهية»، إلى التأكيد الصارم للخلاف بين العلوم الإنسانية والطبيعية، وقلب المشكلة هو توطئة للتأسيس الجذري للعلوم الإنسانية، فأصالة الموضوع الخاص بالعلوم الإنسانية هو «الذاتية»، بمعنى النفاذ إلى داخل الظاهرة الإنسانية وجوانبتها. فالوجود الإنساني أو الظاهرة الإنسانية تتعين «بالوعي» الذي يقصد إلى «المعنى» ويهدف إلى «القيمة» من خلال «تجربة معيشة» لها «تاريخيتها» الخاصة المنفردة في الزمان والمكان. ولا يكون هذا النفاذ إلاّ عبر مناهج التفهم (verstehene) الأمر الذي يمضي بالباحث إلى الأساس الصلب الذي يُقيم عليه تفسيراته وتأويلاته للظاهرة الإنسانية والاجتماعية^(٣). من هنا تنجلي ضرورة الحديث عن أهمية التفهم لإنجاز الحوار المعرفي بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، أنقاض هذه العلوم من الافتراض القائل بالحقيقة المطلقة المستندة إلى منهج العلوم الطبيعية.

١- صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، دار التنوير

للمطبعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢١-٢٢.

٢- المرجع نفسه، ص ٧٥.

٣- المرجع نفسه، ص ١١٦.

في حوار أجراه كل من فيليب فورجيه وجاك لوريدير مع غادامير: «ما فحوى الحقيقة والمنهج، ما التأويلية التي تريد تأسيسها؟». اتضح أنّ غادامير أثر بعمق في تطور العلوم الإنسانية في اللحظة المعاصرة بألمانيا والشاهد حوار مع هابرماس، حيث يقول في هذا الصدد: «أنطلق في تأويلتي من فكرة مفادها أنه يجب نزع الصفة المطلقة (Desabsolutiser) عن المثل الأعلى للمنهج، هذا المثل مُستخرج من العلوم الصحيحة. هدفى هو نظام ما (Discipline) لا بمعنى الفرع الخاص بالمعرفة بل أقصد الموقف المتسم بالدقة والصرامة - يشمل السيطرة على المنهج عبر تجاوزه [...] المنظرين يتصورون أنّ العلم وصحته هو حلّ لألغاز العالم. ولكننا ننسى أنّ العلم لا يعرف العالم ولا يفتحه إلا في اتجاه خاص». «ما الذي يميز علوم الإنسان، أين تتمفصل تأويلتك مادياً؟» ما يُميّز العلوم الإنسانية أنّها لا تستخدم مناهج معروفة فقط بل قدرة على الفهم [...] تتجاوز القدرات التي نكتسبها عقلياً [...] أوسع في تأويلتي البعد الجديد الذي أعطاه هايدغر لهذا المفهوم: ليس الفهم شكلاً خاصاً للعلاقة بالعالم بل هو «أصل كينوني» (existential)، شكل الكينونة نفسها للوجود في العالم [...] ماذا يحدث فعلياً أثناء الفهم [...] إنّ تحول السياسة إلى علوم سياسية يبدو لي نموذجياً في هذا الصدد^(١). إذ أنّ غادامير تحدث فلسفياً عن «ضرورة التفكير من داخل نظرية التأويل»^(٢)، هنا مربوط الفرس، الفلسفة الهيرمينوطيقية عند غادامير تؤسس هيرمينوطيقاً فلسفية ذات بعد عالمي لها أفق جعل الفن والتاريخ والتراث واللغة، أدوات جديدة للفهم أساسها الحوار، عكس ما نبذه أنصار النظرية الميتودولوجية واعتبروه أحكاماً مسبقة.

١ - هانز جورج غادامير، «سلطة الفلسفة»، جاك دريدا وآخرين، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سورية، ط١، ٢٠١٤، ص ١٥٥-١٥٦.

خاتمة:

ترتيباً على ما تقدم يمكن أن نستنتج أن مقارنة غادامير لسؤال المنهج اعتمدت في أساسها السجالي على مجاورته للفكر الرومنسي - شلايرماخر - والرؤية الابيستيمية - دلتاي - بالاستناد إلى أنطولوجيا هيدغر، حيث خرج بالمنعطف الجذري في اتجاه العلاقة بين المنهج والحقيقة. وعليه فإن غادامير طرح ما يُعرف عنده بالفهم الأنطولوجي باتباع مسار «حقيقية - منهج»، عكس التصور السابق عنه لدى شلايرماخر ودلتاي الذي اتجه إلى منحى «منهج - حقيقة». إن هذا القلب الجذري للعلاقة له ما يبرره ضمن التجربة الإنسانية المعيشة التي تشكلت من مجالات الفن، التاريخ واللغة.

وهذه الرؤية الجديدة للمنهج تنطلق من مجاوزة هذا الأخير باعتباره مجموع قواعد وتقنيات صارمة تُطبّق على الظاهرة الإنسانية محاكاةً للطبيعيات، إلى ضرورة اعتبار الحقيقة في حقيقتها مُرتبطة بإعطاء أهمية كبيرة للأحكام المُسبقة والتراث في إطار ما يُعرف بالحوار.

بيبلوغرافيا المصادر والمراجع باللغة العربية:

- بريمي، عبد الله، «غدامير أم ريكور»، (2010-08-27)، انظر الرابط:
www.ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=504
- حمر العين، خيرة، «الشعرية وانفتاح النصوص: تعددية الدلالة ولا نهائية التأويل». مجلة الخطاب، منشورات خبّر تحليل الخطاب، العدد السادس، (جانفي ٢٠١٠)، ص- ص ١١-٣٠.
- جاسبر، دافيد، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
- دهمانية، مليكة، «فصول في القراءة والتأويل من خلال نماذج غربية معاصرة». أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر ٢، السنة الجامعية: ٢٠١٠-٢٠١١.
- شلبي، محمد، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقتربات، والأدوات، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٢.
- غدامير، هانز جورج، بداية الفلسفة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- «سلطة الفلسفة»، جاك دريدا وآخرون. مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٤.
- ، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي المغرب، منشورات الاختلاف، بيروت- الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦.
- ، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار أوبا للطباعة والنشر، طرابلس، ط١، ٢٠٠٦.
- ، التلمذة الفلسفية: سيرة ذاتية، ترجمة حسن ناظم وعلى حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ط١، ٢٠١٣.
- ، «مدخل الى أسس فن التأويل: التفكيك وفن التأويل»، ترجمة وتقديم محمد شوقي الزين، انظر الرابط:

www.aljabriabed.net/n16_08azin_gadami.htm

- غراندان، جان، المنعرج الهرمىنوطىقى للفىنومىنولوجىا، ترجمة وتقدىم عمر مهبىل، الدار العربىة للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، بىروت-الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.
- قارة، نبىهة، الفلסףة والتأوىل، دار الطلبعة للنشر والتوزىع، بىروت، ط١، ١٩٩٨.
- قنصوه، صلاح، الموضوعىة فى العلوم الإنسانىة: عرض نقدى لمناهج البعث، دار التئوىر للطباعة والنشر والتوزىع، بىروت، ٢٠٠٧.
- كسحو، شسادى، «حدود المنهج: مدخل إلى هرمىنوطىقا غادامر»، (05-2015-15)، أنظر الرابط:

www.alawan.org/rubrique15.html?debut_articles=20

- مصطفى، عادل، فهم الفهم: مدخل إلى الهرمىنوطىقا نظرىة التأوىل من أفلاطون إلى غادامىر، رؤىة للنشر والتوزىع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
- المطىرى، عبد الله، «قراءة فى كتاب الحقىقة والمنهج: الخطوط الأساسىة لتأوىلىة فلسفىة لهانز جورج غادامىر»، جرىدة الرىاض، العدد: ١٤٤٥٨، (١٤.٠١.٢٠٠٨)، انظر الرابط:

www.alriyadh.com/311513

- معافه، هشام، «هرمىنوطىقا الفن عند غادامىر»، مذكرة ماجستىر، فرع الفلסףة، كلىة الآداب والعلوم الإنسانىة، جامعہ بانته، السنة الجامعىة: ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
- مركز الدراسات والبعوث الإنسانىة والاجتماعىة، «هرمىنوطىقا وحدود الفهم»، انظر الرابط:

www.cerhso.com/detail-science-humaines.asp?idZ=8&id=1

- منصور، أمال، «الهيرمينوطيقا واشكاليات تأويل الخطاب الديني». مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، قسم الادب العربي، جامعة بسكرة.

www.lab.univ-

biskra.dz/Labreception/images/labreception/doc_pdf/critique_heur_moneyique_pdf.pdf

- مهيبيل، عمر، «هانز جورج جادامير خطاب التأويل، خطاب الحقيقة»، مجلة نزوى، العدد: ٨٦، (٢٠١٠.٠٤.٠١)، انظر الرابط:

www.nizwa.com

باللغة الأجنبية:

- Djaballah, Amar, «L'herméneutique selon Hans-Georg Gadamer », *théologie évangélique* vol. 5, n° 1, 2006 p. 31-68
- Gadamer, Hans-Georg, trad. fr. par P. Fruchon, J. Grondin, G. Merlio, *Vérité et méthode : les grandes lignes d'une herméneutique philosophique*, Paris, Seuil, 1996 See: [www.orbi.ulg.ac.be/bitstream/2268/177088/1/Vérité et méthode Gadamer Présentation.pdf](http://www.orbi.ulg.ac.be/bitstream/2268/177088/1/Vérité_et_méthode_Gadamer_Présentation.pdf)
- Klapwijk, Jacob «The Universal in Hans-Georg Gadamer's Hermeneutic Philosophy» *Philosophia Reformata* 50 (1985), P. 29-119.